وحياته الشريفة التي تمناها واعجابه باستقلال أخلاقه وتربيتها كل هذا كان له مادة اعتبار لادبه واعجابه بقدرته العقلية وكان لسناً مفوهاً ولم يبق في أرقى طبقات الكتاب ولا في أرقى المفكرين وكان انشاؤه مستقلا نظماً حتى قال له أحدهم يوماً : انك ياصاح لو انشأت حكاية أسماك صغيرة لجعلتها تتكلم كلام الحيتان . وبالجملة فلم يكن من الخوارق والنوابغ في علمه وأدبه بل كان من الخوارق في أخلاقه ولذلك يعد في الاخلاقيين أكثر منه في الكاتبين

## مجلة المقتطف

قلما قام في هذه البلاد عمل مادي أو علمي أو غير ذلك أعواماً طويلة الا وأصابه من خور عزيمة أربابه وتشتت أهوائهم أو قلة بضاعتهم ومناصبة الاحوال لهم ماتتداعى به أركانه وينحل كيانه . قال بعض العلماء أن حياة الانسان ثلاثون سنة أي انه يندر ان يعمل عملا نافعاً طول حياته أكثر من هذه المدة أو مايقرب منها وبعد ذلك إما ان يضعف أو يعوقه عائق . بيد ان مجلة المقتطف بلغت هذا السن في هذه الآونة والهمة في تحسينها تتجدد والفائدة الناتجة منها تعظم

قلَّ في المشاريع ولا سيما العلمية منها ماسار به صاحبه على سنة الارتقاء الطبيعي ولذلك قلَّ في أربابها المفلحون . أما صاحبا المقتطف فعملا أولا تحت نظارة أستاذ لهما عظيم الدكتور كرنيليوس فانديك الاميركاني ولم يخرجا عن حد الخطة التي رسمها لهما فكانت صفحاتهما بادي بدء قليلة وكتابتهما لا تخلو من ضعف وموضوعاتهما بسيطة تتناولها أذهان الصبيان لادنى نظر

وعلى ما قام من المنشطين لعملهما في ذلك العهد من رجال البلاد لم يبلغ المقتطف الغاية التي كانت ترجى له من الانتشار وكثرة الانتصار

ولقد خيف عليه السقوط أولا خصوصاً عند ما قام بعضهم في مناصبته، ومن العادة أن ينتقد بل ان يعادى كل من يكتب في الابحاث الجديدة ويدعو اليها ولا سيما ما كان منها فيما لم تألفه عقول القوم من الفلسفة الطبيعية والمعارف المادية . فثارت مثارات النفوس لاول وهلة واستعظم بعضهم إقدام صاحبيه ولو لم يمزجا عملهما بشيء من التقية والمداراة وبعضها النفس في الاحايين لكانت أقل صعوبة يلقاها مثل هذا المشروع تكفي في إخفاق المسعى وانفضاض الناس من حوله. ولو ظل المقتطف يقبل المناقشة فيما يكتبه وينشره لانصرفت وجهته من الكليات الى الجزئيات وضاع المقصود من إنشائه فقد نصح لهما أستاذهما بالعدول عن خطة المماحكات على ما أثبتنا نصيحته في السنة الثامنة فلم يضيعا بعد الوقت في الجدال سدى . ومذ ذاك أخذت كتابة المقتطف وابحاثه ترتقي مع الزمن بكثرة مران القائمين به

وبعد فليس هذا كل ما هيأ الاسباب لقيام المقتطف بل هي الدروس التي أحسن صاحباه تلقيها في أول أمرهما ومرنا على الكتابة فيها والخبرة التي توفرت لهما بكثرة المعاناة والدرس وذاك النور الذي ما فتئا يقتبسانه من أستاذهما الى آخر عمره . وقد عرف المقتطف بحسن التنسيق ولطف الاداء. وقل في العهد الاخير من يدانيه في إجادة الترجمة والتعريب في العلميات المجردة وله بذلك ملكة خاصة لم يسم اليها غير أفراد من أهل العلم الكاتبين كما انه عرف بحسن الاختيار وانتقاء الموضوعات المفيدة حتى يكاد يكون ذلك مزية خاصة به وجرى في توقع المناسبات على قدم المجلات الاميركية

والانكليزية من إعداد مقالات للنشر كل آن ومقالات لا تنشر الا في أوقات خاصة . فقد نشر لي مقالة بعد ثلاث سنين من إرسالها اليه ونشر أخرى بالمناسبة بعد سنتين

ويقول منشيء المقتطف انه يؤلفه من مجلات كثيرة لاهل الاختصاص من علماء السكسونيين وما كل مطلب من مطالبه الا وهو نتيجة ابحاث عقول كبيرة درسته حق دراسته . دع عنك ما في مكتبته من دوائر المعارف أو الموسوعات ( الانسيكلوبيذيات ) والكتب العلمية الافرنجية وخل عنك خبرة صاحبيه في معظم الفنون التي يكتبان فيها على ما صرحا بذلك في آخر السنة العشرين .

ومع ان للمقتطف مشرباً يصعب ان تقبله كل النفوس واشياعاً يغالون في محبته وإجلال ما يصدر عنه نراه الى اليوم يراعي أكثر الاذواق استحساناً . ومن مزج خدمة العلم بخدمة نفسه في الماديات فاتخذ العلم تجارة والتجارة باباً للعلم قد ينجح في الاعم من حالاته . من أجل هذا اضطر المقتطف في الربع الاخير من عمره ان يجاري بعض المجلات في نشر الابحاث الادبية فاجاد في بعض رواياته المترجمة ولم يجد في المختارات الادبية فجاء من المقتطف صحيفة عامة تبحث في أمور كثيرة يصح ان يقتنيها أهل كل جيل وقبيل ولا مسحة عليها من صحف الاختصاصيين من الغربيين تلك الصحف التي تنصرف الى علم أو عدة علوم لا تتعداها فتطيل فيها وتتوسع ما شاءت وشاء غرضها . وللمقتطف عذر في ذلك مادام أهل الاختصاص في الشرق لا يعيشون من أقلامهم وما عم العلم بيننا حتى يخص . ولكن كان الاجدر به ان يخص بعض من تفردوا بالآداب وذاقوها كل الذوق ليكتبوا فيه أمثال هذه الموضوعات ويحكموا على ما يرد منها

من أقلام المراسلين

وأقل ماتم على يد المقتطف من الحسنات ان أناساً ممن أعرفهم في مصر والشام علت بالمواظبة على الاخذ منه أفكارهم وأزال عنهم أدران الغباوة وفتح لهم باب البحث وإعمال الفكرة وغرس فيهم الميل الى المطالعة والتأليف وأوقفهم على إجماليات من العلوم الحديثة فكانت هذه المجلة لهم أشبه بدائرة المعارف التي نشرها الخاصة من رجال الفرنسيس في القرن الثامن عشر فجعل الناس يختارون مايروقهم من العلوم بعد ان ينظروا في معظمها نظرة عامة

بقي ان أقول ان للمقتطف مغامز لا بأس بعرضها عليه الا وهي ظهور الغرض أحياناً في مطاوي ما يكتب مدفوعاً الى ذلك بعامل التربية والمنشأ أو بداعي قلة اختبار في أحوال المجتمع أو مراعاة لغرض تستدعيه المصلحة وما كان الاحرى به وهو يدعو الى العلوم المادية ان يتجرد عن النزعات السياسية والدينية بتة. فالعلم مشاع لا مشرب له ولا دين. ولو خلا من التعريض ببعض الفرق لنجا من طعن الطاعنين عليه من مثل من أوغر صدورهم مثلا بشرح مذهب داروين في النشوء والارتقاء وكان عليه ان يلخص في مثل هذه الموضوعات حقائقها من غير تحزب الى ماقد يكون الجمهور على خلافه

وقد يقع لهذه المجلة في بعض الاعداد ان تطرق موضوعاً تافهاً فيكون ذلك على غير قصد منها في الغالب خصوصاً ومنشئها يعنى كل العناية ان لايكرر ماسبقت له الكتابة فيه والناقل قد يسهو عما نقل وشتان بين الناقل والواضع

ومن كان غرضه ارضاء قرائه كافة لابد ان يسقط ولو قليلا فيما يدعوه الخاصة لغواً أو حشواً. ولعل ذلك هو السبب الذي دعا منشئه ان قال

يوماً لاحد كتاب المجلات انك ياهـذا تملأ صحيفتك بالدسم فوق اللازم فالاشبه بك ان تضمنها ماتتحمض به النفوس ليشتد بها القرم الي العلم.

وقد عتب فريق على هذه الصحيفة لتناولها بنقل تراجم المشارقة وذكر نبذ من أعمالهم الخيرية وأرى لها بعض العذر في ذلك لان المرء حر ان يسكت عمن لا يعلم عنه مايكفي للحكم فيه أو لا تروقه حالته ولا يسف ان يكيله المديح كيلا . فان اغفلت مثلا ترجمة جمال الدين الافغاني وحسن الطويل وحسن توفيق وأمثالهم فقد ترجمت محمداً عبده وعبد الرحمن الكواكبي وبطرس البستاني ومن ضارعهم

هـذا وإني استحسن طبعه ووضعه ونسقه وحسبي حجة على أدب صاحبيه وانهما أميل الى الانصاف من كثيرين من حملة الاقلام ان اذكر مااقترحه عليّ أحدهما منذ سنين من انتقاد مجلتهما وبعد الاعتذار أشرت بالعدول عن بعض الموضوعات المطولة المملة مثل مقالات فتح المكسيك وان تتوفر العناية بتصحيح المسودات من الاغلاط اللغوية والمطبعية لتكون صحيفتهما حجة في الادب كما هي حجة في العلم المادي فطرحا ذاك الموضوع لقلة غنائه وانشأ آيعنيان باصلاح الاغلاط واقاما معهما كاتباً على انشائه .

وهناك مسألة طالما خالجت فكري وذاكرت أحد صاحبيه بها الا وهي ان منشئيه لم يربيا على منهجهما العلمي ناساً يخلفانهما وما إخال ذلك الا ميسوراً لهما لو صحت عزيمتهما عليه لان المدرسة التي تعلما فيها لاتزال تخرج كل سنة من لو ساعدتهم الاحوال وأخذ أرباب البصر بأيديهم لكانوا مثلهما. وما أدري لِمَ لم تصف للمقتطف طبقة ممن ساعدوه من أول نشأته فساروا معه الى آخر دور من أدواره فقد اتصل بعض مساعديه باعمال

أخرى فزهدوا في المثابرة على مساعدته أو سئموا ولم يثبتوا في حين أخذ المقتطف منذ بضع سنين يؤدي جوائز للكتاب كما كان يفعل صاحب الجوائب قديماً .

ومع ان للمقتطف أعواماً طويلة في خدمة القلم يحق له كما قال لي أحد رجال الادب ممن خبروا المجلات الاميركية والانكليزية ان ينشر ولو في الاحايين موضوعات هي من بنات أفكار كاتبيه ومن ثمرات مباحثهما الخاصة شأن غيره من المجلات الكبرى في بلاد الغرب ولكن المقتطف لا يرى الا الاخذ عن الغربيين وعنده معظم ماهو من أصل شرقي مظنة للظنة والريبة لا يعتد به في الغالب

وفي الختام أثني على هذا الكتاب العلمي الدوري بما هو أهله لانه كان خير واسطة علمية بين أفكار المغاربة والمشارقة وأرجو أن تطول أيام صاحبيه ليظلا يودعانه ما ينفع طلاب الحقائق على الدهر وآمل ان يكون في اشتراك كاتبيه هذه الاعوام الطويلة أحسن معلم للمشارقة وداع لهما الى الاجتماع تذرعاً الى إصلاح السعادتين

---

## ديانة المصريين

يقول هيرودتس ان المصريين من أشد البشر تديناً ولا يعرف شعب بلغ في التقوى درجتهم فيها فان صورهم بجملتها تمثل ناساً يصلون أمام رب وكتبهم على الجملة أسفار عبادة وتنسك .

الارباب المصرية — رب الشمس رأس الارباب ( الآلهة ) عندهم وهو الخالق المحسن العليم الكائن منذ البدء له امرأة وابن عريقان مثله في